الكيانات السياسية في سوريا خلال القرن الرابع عشر ق.م

فاروق إسماعيل[1]

أولًا: ملخص

كانت الأراضي السورية الحالية مقسّمة خلال القرن الرابع عشر ق.م بين ثلاثة عشر كيانًا سياسيًا مستقلًا. وسعى حاكم كل منها إلى المحافظة على سلطته، فاختلفوا وتحاربوا، ولجأ معظمهم إلى الاستقواء بإحدى القوى الكبرى المجاورة (المملكة المصرية، الحثية، ميتاني)، وارتبط بها بالولاء والتبعية بغية طلب الدعم والحماية عند الحاجة.

يبدأ البحث بتحديد الإطار الجغرافي العام للبحث ومصادره، ويعرض لمحة تعريفية بالقوى الكبرى التي انهمكت في الصراع حول سوريا، ثم ينتقل إلى الجانب الأساس في البحث، ألا وهو رسم تصور شامل عن خريطة الكيانات السياسية في سوريا آنذاك، فيقسمها إلى خمسة أقسام، هي:

1. مملكة ميتاني الحوريّة في مناطق شرقي الفرات (الجزيرة السورية).

2. الكيانات الشمالية (أشتاتا، حلب، موكيش).

3. الكيانات الوسطى (نُخَشّي، نيا، تونيب، قَطْنا، كنْزا/قادش).

3. الكيانات الساحلية (أوجاريت، سيّانو، أمورو).

4. دمشق في الجنوب.

ويهدف البحث إلى وصف الأوضاع في سوريا خلال تلك المدة العصيبة، وتحليل طبيعة الصراعات الداخلية السورية، وأطماع القوى الخارجية المجاورة. ويلمح البحث إلى مقاربة شديدة مع الواقع السوري المعاصر، منذ بدء الثورة السورية 2011.

---

(1) أكاديمي وباحث سوري، أستاذ فقه اللغات السامية وحضارات الشرق القديم في جامعة برلين الحرة.

ثانيًا: مقدمة

يستخدم البحث تسمية (سوريا) بدلالتها الجغرافية الحديثة، وبصفتها جزءًا من بلاد الشام التي تشمل لبنان وفلسطين والأردن أيضًا. لم تكن الأراضي السورية الحالية مقسمة -من حيث الكيانات السياسية المتعددة الحاكمة فيها كما كانت خلال القرن الرابع عشر ق.م- فقد بلغت ثلاثة عشر كيانًا مستقلًا، تصارع حكامها مرارًا، ولم تكن قادرة على الاستمرار في الوجود زمنًا طويلًا اعتمادًا على قواها الخاصة، سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا، ولذلك كانت مضطرة إلى اختيار إحدى الممالك الكبرى (المصرية، الحثية، ميتاني) حليفًا ترتبط به بالولاء طلبًا للدعم والحماية.

هذه إشكالية تاريخية تحتاج إلى توضيح، ولذلك يهدف البحث إلى عرض لمحة عن تلك الكيانات السياسية، وقبل ذلك التعريف بالقوى الكبرى المحيطة التي كانت ترقب التطورات الداخلية في سوريا، وتقف إلى جانب كيان ضد آخر؛ بما يناسب مصالحها، وطبيعة تلك الصراعات، وأحداثها، وأهدافها، ونتائجها. وسوف يعتمد البحث منهجًا وصفيًا تحليليًا؛ حيث سيتم وصف الأحداث التاريخية وربطها وتحليلها بأسلوب يوضح أهداف البحث المبتغاة.

تكمن أهمية البحث في أنه يضيء الأوضاع في سوريا خلال مدة عصيبة لم تشهد خلالها الاستقرار، وهي تثير في الذهن صورة الأوضاع السائدة فيها في الزمن المعاصر؛ منذ أكثر من عشر سنوات، وتستدعي المقاربة والمقارنة.

اعتمد البحث على مصادر كتابية عديدة من القرن الرابع عشر ق.م، هي:

- أرشيف الوثائق المدوّنة بالكتابة المسمارية المقطعية واللغة الأكّدية (البابلية الوسيطة) المكتشف في تل العمارنة (جنوبي مدينة المنيا- مصر). ومعظم هذه الوثائق رسائل أرسلها ملوك الممالك الكبرى في الشرق القديم (الميتانية، البابلية، الحثية) وعدد كبير من ملوك ممالك بلاد الشام (الصغرى) وحكامها وزعمائها إلى ملوك من الأسرة الثامنة عشرة الحاكمة في مصر وممثليهم الكبار. وهي تغطي حقبة قصيرة نسبيًا، تبلغ حوالى ربع قرن (حوالى 1360-1335 ق.م).[2]

- الوثائق المكتشفة في أوجاريت (Ugarit)) (رأس شمرا، قرب اللاذقية) التي دُوّن معظمها بكتابة مسمارية خاصة (أبجدية) أبدعت في أوجاريت، وبلغةٍ محلية تُعرف باللغة الأوجاريتية، وأخرى بالكتابة المسمارية المقطعية، وبلغات عدة (الأكّدية، السومرية، الحورية، الحثية)، تعود إلى القرون 14-12 ق.م.[3]

- الوثائق المكتشفة في العاصمة الحثية خَتّوشا (attušaḪ) (بوغاز كوي، شرقي أنقرا)، وهي مدوّنة بالكتابة المسمارية المقطعية، واللغات الحثية والأكّدية والحورية، تعود إلى القرون 13-17 ق.م.[4]

---

(2) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة الدولية "وثائق مسمارية من القرن 14 ق. م"، (دمشق: دار إنانا، 2010).

(3) الوثائق منشورة ضمن السلسلة العلمية:

PRU = Le palais royal d'Ugarit, (Paris: Mission de Ras Shamra).

(4) يبلغ عددها حوالى ثلاثين ألف وثيقة، وهي منشورة ضمن السلسلتين العلميتين:

.(KBo = Keilschrifttexte aus Boghazköi, (Leipzig: J. C. Hinrichs'sche Buchandlung

- أرشيف القصر الملكي في قطنا (Qaṭna) (تل المشرفة، 17 كم شمال شرقي حمص) الذي تضمن رسائل ووثائق إدارية وقانونية، ويعود إلى أواسط القرن الرابع عشر ق.م؛ قبيل قيام الحثيين بتدمير المدينة.(5)

ثالثًا: المشهد التاريخي العام في الشرق القديم

تساعد المصادر الكتابية على إضاءة المشهد التاريخي العام في الشرق القديم آنذاك، ومعرفة طبيعة التحالفات والصراعات، وتبدلات موازين القوى السياسية، وأشكال النفوذ السياسي، وتغيّر الولاءات وطبيعتها، وغير ذلك من جوانب التاريخ السياسي.

كانت هناك قوتان سياسيتان خارجيتان تؤثران في أوضاع سوريا وبلاد الشام وتبدلاتها إبّان القرن الرابع عشر ق.م، هما المملكتان المصرية والحثّية، وسنعرض في ما يأتي لمحة موجزة عنهما:

1. المملكة المصرية

حكم في بداية القرن تحتمس الرابع(1391-1401) (Thutmose IV ق.م)، وواجه في مطلع عهده تجدد التمردات ضد النفوذ المصري في سوريا، وانتهج سياسة جديدة، إذ تحالف مع مملكة ميتاني الحورية في الجزيرة السورية، وصاهر ملكها أَرْتَتما الأول(Artatma I) (حوالى 1400-1380 ق.م)، ونشأت بينهما علاقات وطيدة، وتم اتفاقهما على تنظيم الحدود المشتركة بينهما في سوريا، فكانت حدود مناطق النفوذ المصري تمتد في المناطق الساحلية، أكثر من الداخلية، وتشمل أوجاريت. أما في وادي العاصي فكانت الحدود تمتد ضمن منطقة سهل حمص تقريبًا.

أدى هذا إلى أن تكون الفترة التالية؛ بدءًا من حكم أمنحتب الثالث (1390-1352) (Thutmose III ق.م) فترة سلام وازدهار، وتوقف الأعمال العسكرية المصرية في بلاد الشام، وبانتقال الحكم إلى أمنحتب الرابع (1352-1336 ق.م) تحوّل الحكم من سلطان عُرف بميله إلى اللهو والترف إلى فيلسوف، أو داعية سلام وعدل تركز جلّ اهتمامه على نشر عبادة آتون الذي أعلنه في العام السادس من عهده إلهًا واحدًا للبلاد، وتلقّب باسم جديد: آخِن آتون، أخناتون(Akhnaten))، وقرر بناء عاصمة جديدة، بدلًا من طيبة (الأقصر)، هي آخت آتون (Akhetaton) (تل العمارنة) وانتقل إليها.

اصطدم أخناتون بمواجهة من الكهنة الذين كانت معابد الآلهة الكثيرة تفيدهم اقتصاديًا، وتوقفت ضرائب معابدهم المفروضة على التجارة مع بلاد الشام، وتضررت بلاد الشام بسبب إهمال القصر الملكي المصري لشؤونها، لأن أخناتون نذر على نفسه ألا يبرح عاصمته.

ولذلك سارت المملكة نحو الانهيار بدءًا من العام الثاني عشر من عهده (1341 ق.م)، كما تضررت مملكة

KUB = Keilschrifturkunden aus Boghazköi, (Berlin, Staatlichen Museen).

(5) Thomas Richter, „Das Archiv des Idanda“, (Berlin: Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, 135, 2003) 167-188; Thomas Richter, Sarah Lange, Das Archiv des Idadda, (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2014).

ميتاني (Mittani) كثيرًا من هذا الوضع، وانقطعت العلاقات الحسنة بعد سنوات قليلة من بدء حكم أمنحتب الرابع.

ثم حكم سمنخ كارع (Smenkhkare) (1332-1335 ق.م) ومات في آخت آتون، وبعده أعاد توت عنخ آمون (Tut Ankh Amun) (1332-1323/1322 ق.م) الحكم إلى طيبة، ولكنه كان طفلًا فتولت المؤسسة الكهنوتية الحكم عمليًا، وانصرف الكهنة إلى استعادة نفوذهم ومكاسبهم، ثم حكم آي (Ay) فترة قصيرة، وكان آخر ملوك هذه الأسرة هو حور محب (Horemheb) (1322-1295 ق.م) الذي نجح في إجراء إصلاحات إدارية داخلية متميزة.[6]

2. المملكة الحثّية

تقع بدايات القرن الرابع عشر ق.م ضمن مرحلة حكم المملكة الحثية الوسطى التي دامت حوالى قرن من الزمان، وتفاصيلها غير واضحة تمامًا. حكم خلالها خمسة ملوك، أشهرهم تودخاليا الثاني (Tudḫaliya) (نحو 1385 ق.م) الذي حارب الحوريين في شمال شرقي سوريا بضراوة، وأجلى عددًا كبيرًا منهم إلى عاصمته خَتّوشا، وفي شمالها أرغم حلب على العودة إلى السيادة الحثية.

نشبت ثورات عدة في أطراف المملكة في عهد الملك التالي تودخاليا الثالث (حوالى 1353 ق.م)، وتمزقت البلاد، فاستغل الحوريون ذلك، وعبروا الفرات نحو الشمال، واحتلوا المناطق الجبلية، وتقلصت المملكة الحثية إلى حد كبير. وقويت مملكة أرزاوا (Arzawa) المجاورة في المنطقة الساحلية الجنوبية (محيط مرسين)، وباتت تشكل خطرًا عليها، وبدأت مصر تسعى إلى عقد صلات معها، ولكن ذلك لم يتحقق لبروز شأن شوبيلوليوما (Šuppiluliuma) ابن الملك الحثي الذي صار يقود حملات عسكرية، ويقمع التمردات، حتى استلم العرش بعد وفاة والده.

بدأت مرحلة تاريخية جديدة تدعى (المملكة الحثية الحديثة) بحكم شوبيلوليوما (الأول) 1343-1322/1323 ق.م، وشهد عهده نشاطًا سياسيًا وعسكريًا مكثفًا في مناطق سوريا الشمالية؛ بعد احتلال كركميش (Karkamiš) (جرابلس)، وانهارت مملكة ميتاني، وتحسنت العلاقات مع المملكة البابلية، وتعاصر ذلك مع اضطراب الأوضاع في مصر بعد موت توت عنخ آمون الذي لم يخلّف ابنًا يرثه.

وتقع في هذا السياق التاريخي الرسالة المفاجئة التي أرسلتها أرملة الملك المصري إلى شوبيلوليوما، وهو يحاصر مدينة كركميش، تطلب فيها منه أن يرسل إلى مصر أحد أبنائه ليتزوجها. وقد لبّى شوبيلوليوما طلبها، بعد التحقق من صحة نواياها، وأرسل أحد أبنائه، ولكنه قُتل قبل وصوله إلى البلاط المصري، ويرجح أن ذلك تم بيد رجالٍ حرّضهم القائد العسكري المصري آي الذي استلم الحكم بعد ذلك.

لقد أدرك شوبيلوليوما أهمية موقع مدينة كركميش على الفرات وفي وسط الشمال السوري، فجعلها مركزًا عسكريًا وإداريًا متخصصًا بالشؤون السورية، منه تنطلق الحملات العسكرية، وإليه ترد التقارير اللازمة عن

(6) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، 32-37.

الأوضاع داخل سوريا، وقد احتفظت بهذا الدور حتى نهاية المملكة الحثية في مطلع القرن الثاني عشر ق.م.[7]

خلّفه في الحكم ابنه أرنو وندا (Arnuwanda) (الثاني) لثلاث سنوات فقط، ثم حكم ابنٌ آخر له، هو مورشيلي الثاني (1321-1295 ق.م) (Muršili) الذي تشير تقارير سنواته الأولى إلى أن المملكة كانت مهددة بأخطار داخلية وخارجية. ففي سوريا حصلت تمردات في نُخَشّي (Nuḫašši) وقادش (Qadiš) خلال سنة حكمه التاسعة (1310 ق.م)، فزحفت قواته إلى هناك، وأمر بتغيير حاكم نخشّي، وحرق محاصيل البلاد، ثم احتل قادش. ولضبط الأوضاع في شمالي سوريا؛ عيّن حاكمًا جديدًا في كركميش، وجعل ابنه تَلْمي شرّوما (Talmi-šarruma) ملكًا على حلب، وتابع فرض السيادة الحثية على الممالك الساحلية الثلاث: أوجاريت، سيانو (Siyānu)، أمورو(Amurru). ومن ثم يمكن القول إنه سيطر على المناطق الشمالية والداخلية والساحلية، باحتلال مباشر أو بفرض الولاء والتبعية.[8]

رابعًا: الخريطة السياسية في سوريا

يعدّ القرن الرابع عشر ق.م مرحلة تفتت في سوريا وبلاد الشام عامة، فقد نشأت فيها ممالك صغيرة أو إمارات كثيرة موزعة في شتى المناطق، وكان معظمها يشغل رقعة جغرافية صغيرة تقتصر على مدينة مركزية (عاصمة) ومناطق محيطة بها، باستثناء مملكة ميتاني الحورية في الجزيرة السورية، ولم يهنأ معظمها بالاستقرار، لذلك نجد أن المنجزات الحضارية؛ العمرانية والفنية، فيها ضئيلة نسبيًا.

كانت هذه الكيانات ضعيفة ومضطرة إلى الولاء والاحتماء بإحدى المملكتين (المصرية، الحثية)، طلبًا للدعم والحماية عند اللزوم. وسنعرض لمحة عمّا يوضح الخطوط الأساسية لتاريخها خلال هذا القرن، ونركز على طبيعة علاقاتها الداخلية والخارجية. يمكن تقسيمها إلى مجموعات؛ بحسب الأطر الجغرافية، هي:

1. مملكة ميتّاني (Mittani) الحورية في الجزيرة السورية

شكل الميتانيون هجرة ثانية من الموطن الأم للحوريين في محيط بحيرة وان (Van) (جنوبي شرق تركيا) إلى مناطق الجزيرة السورية وطور عابدين خلال القرن السابع عشر ق.م، ثم استطاعوا تشكيل مملكة جديدة مع أبناء جلدتهم الحوريين المقيمين هناك منذ القرن الثالث والعشرين ق.م، واتخذت وَشّوكاني (Waššukanni) (ربما تل فخيرية بجوار مدينة رأس العين) عاصمة لها.

دخلت المملكة في صراعٍ دامَ حتى القرن الخامس عشر ق.م مع المملكة الحثية في بلاد الأناضول التي كانت تريد التوسع جنوبًا وشرقًا. وفي أواسط القرن الخامس عشر ق.م امتد نطاق نفوذ مملكة ميتاني غربي الفرات، فقد احتلت حلب وموكيش (Mukiš)، وتوسعت نحو البحر المتوسط وشمالي حمص،[9] حيث قامت كيانات سياسية

(7) N. Marchetti, (Ed.) Karkamish. An Ancient Capital on the Euphrates, (Bologna: 2014) 86-98.

(8) Horst Klengel, Geschichte des hethitischen Reiches, (Leiden.Boston.Köln: Brill, 1999) 196-200.

(9) Peter Pfälzner, Levantine Kingdoms of the Late Bronze Age, In: Daniel T. Potts, (Ed.) Companion to the Archaeology of the Ancient Near East, (Oxford,

عدة يحكمها حكام ميتانيون أو محليون تابعون لميتاني، ما أثار قلق الملك المصري تحتمس الثالث، فسار سنة 1447 ق.م بحملة إلى سوريا، وتغلغل في الأراضي الميتانية، ثم تتالت حملاته حتى حملة سنة 1438 ق.م التي قمع خلالها ثورة في تونيب وقادش بدعم ميتاني.(10)

استمر الصراع الميتاني – المصري حول السيادة على سوريا الشمالية والوسطى حتى عهد الملك الميتاني أرتتما الأول (نحو1380-1400 ق.م) الذي وقّع معاهدة مع الملك المصري تحتمس الرابع، فبدأت مرحلة السلام والمصاهرات وتبادل الهدايا، ووقفت القوتان معًا في وجه الأطماع الحثية.

واستمر ذلك في عهد شُتّرنا الثاني (1365-1380) (Šuttarna IIق.م)، ثم شهدت المملكة اضطرابات بعد موته، لأن الحثيين كوّنوا تيارًا معاديًا للتحالف الميتاني–المصري ضمن البلاط الميتاني نفسه، ودبّروا مؤامرة اغتيال وريث العرش أرتشمارا (Artašumara) ليصل تشرتا (Tušratta) الموالي لهم إلى الحكم. ولكن تُشْرَتّا (1335-1365 ق.م) انقلب ضدهم بسرعة، وأعاد توطيد العلاقات مع مصر بشكل أقوى من ذي قبل.

عاصر تُشْرَتّا أمنحتب الرابع/أخناتون (Akhnaton)، وكانا حريصين على استمرار التحالف، ولعبت تي الملكة المصرية (الأم) دورًا إيجابيًا في ذلك، كما إن اقتران الملك المصري في مطلع حكمه بالأميرة الميتانية تادو خبا (Tadu-Ḫeba) شكّل سندًا متينًا لتحالفهما. ولكن الوضع تبدل فجأة، وبدأت العلاقات تفتر، مما فسح المجال أمام الحثيين لمحاربة ميتاني بشدّة، وبدأت ميتاني تضعف رويدًا رويدًا، فاستقلت موكيش وحلب، واضطربت الأوضاع الداخلية في ميتاني، وتم اغتيال تُشْرَتّا على يد أحد أبنائه، وقام شترنا الثالث -ابن أرتتما الثاني الذي كان قد تمرد، وأعلن حكمًا ميتانيًا مستقلًا في تَئيد (Ta'idu)- بثورة يدعمه الآشوريون فيها، واحتل العاصمة وَشّوكاني، ثم استعادها شَتّي وازا (attiwazaŠ) بعد تعاونه مع شوبيلوليوما ومصاهرته له.

كانت مناطق مملكة ميتاني في أواخر القرن الرابع عشر ق.م مقتصرة على مناطق مثلث الخابور، وفيها عاصمتان؛ وَشّوكاني في الغرب، تئيد في الشرق، ثم اختفى دورها في سوريا الشمالية والداخلية. ولذلك سهل على الحثيين فرض نفوذهم؛ بدءًا من موكيش وأوجاريت حتى قطنا جنوبًا، وتراجع النفوذ المصري إلى جنوبي قادش.(11)

2. الكيانات الشمالية

شملت ثلاث ممالك واقعة بين الفرات وجبال الساحل (شرقي أوجاريت)، وقد كانت موالية للميتانيين غالبًا، وخضعت لاحتلالهم، فانتشروا فيها بكثافة. ثم بدأت منذ أواسط القرن الرابع عشر ق.م تتحول مضطرة إلى الولاء للحثيين، لوقوعها على الحدود معها، ولتكثف الحملات العسكرية الحثية عليها، وهي:

2012) 771.

(10) James Henrey Breasted, Ancient Records of Egypt. Historical Documents, Vol. II, (Chicago: The University Chicago Press, 1906) 215.

(11) Horst Klengel, "Qatna – ein historischer Überblick", (Berlin: Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, 132, 2000) 249.

أ. أشتاتا (Aštatta)

اسم البلاد المحيطة بمدينة إيمار (Emar) (تل مسكنة على الضفة الغربية من الفرات، بين حلب والرقة). سيطر عليها الحثيون خلال القرن الرابع عشر ق.م، واتخذوها جبهة لمواجهة الأخطار المحتملة في الشرق والغرب، فقد كان ملكهم تودخاليا الثاني يحارب الحوريين في الشرق بضراوة، ويفرض سيطرته على حلب في الغرب.

ثم مرت المملكة الحثية بمرحلة ضعف وتمزق، وتقلصت حدودها، حتى بروز شأن الملك شوبيلوليوما الأول الذي بدأت في عهده مرحلة جديدة مختلفة، وبرزت أهمية بلاد أشتاتا الاستراتيجية من جديد، حيث جعلها مرتبطة بكركميش؛ مركز حكمه وحملاته العسكرية إلى حلب ووسط سوريا وأوجاريت.

في عهد ابنه مورشيلي الثاني ظلت أشتاتا معبرًا لحملاته ضد التمردات في نُخَشّي وحلب،[12] وبنى فيها، أو بالقرب منها؛ ربما في تل فقعوس (12 كم جنوب شرقي تل مسكنة)،[13] حصنًا زوّده بحامية عسكرية تحسبًا لهجمات ميتانية أو آشورية من الشرق.[14] ثم هدأت الأوضاع بسبب انصراف الملك الحثي إلى الاهتمام بشؤون بلاده الداخلية. وظلت أشتاتا خلال القرن التالي تحت الحكم الحثي؛ كما يتضح من الأرشيف المكتشف في إيمار.[15]

ب. حلب (Ḫalab)

كانت حلب تتمتع بموقع استراتيجي مهم، ولكن أهميتها الأساس كانت تكمن في كونها مركزًا دينيًا أساسيًا لعبادة إله الطقس تِشّوب (Teššub)/ أدّو (Addu)/ أدد (Adad)/ هدد (Hadad)؛ كما كانت في ظل ممالك إبلا (Ebla) ويَمْخَد (Yamḫad) وألالاخ (Alalaḫ) من قبل، ومملكة أرفاد (Arpad) من بعد. ولم تكن ذات سلطة سياسية واسعة المساحة.

اهتم الميتانيون باحتلالها منذ القرن الخامس عشر ق.م، وتمّ لهم ذلك عندما كان يحكمها إيليم إيليمّا (Ilim-il-imma) والد إدريمي (Idrimi)،[16] وظلوا يصدّون الهجمات الحثية ويحكمونها حتى أواسط القرن الرابع عشر ق.م، ولعل أهميتها الدينية كانت السبب في سعي الحثيين المستمر إلى احتلالها، ولذلك عندما احتلها شوبيلوليوما الأول، عيّن ابنه تليبينو (Telipinu) أول الأمر كاهنًا لإله الطقس فيها، ثم حاكمًا عليها، ومراقبًا على الممالك السورية، ويدعمه الجيش لدى ظهور تمردات في حلب والمناطق القريبة.[17]

وفي عهد مورشيلي الثاني تولى حكمها ابنه تَلْمي شَرّوما الذي اختلف عن أبيه، ويبدو أنه ابتعد عن الصراعات، وعمل على تحييد حلب، والاهتمام بطابعها الديني، ولذلك لا تظهر حلب كحليفة للحثيين في المعاهدة التي فرضها

---

(12) فاروق إسماعيل، "الحثيون وحملاتهم على سورية"، مجلة دراسات تاريخية، 81-82، (دمشق: 2003)، 25.

(13) J.-M. Margeron, "Aux marches de l'empire Hittite: une campaigne de fouille à Tel Faq'ous (Syrie), citadelle du pays d'Aštata. in: Yon, (Ed.) La Syrie au Bronze Récent, (Paris: 1982) 47-66.

(14) A. Götze, Die Annalen des Muršiliš, Hethtische Texte, Heft 6, 2. Edition, (Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1967) 118-121.

(15) Daniel Arnaud, Recherches au pays d'Aštata, Emar VI, tomes 1-4, (Paris: Editions Recherches sur les Civilisations, 1985-1987).

(16) عيد مرعي، "إدريمي ملك ألالاخ"، مجلة دراسات تاريخية، 29-30 (دمشق: 1988) 103-126.

(17) Horst Klengel, Syria 3000 to 300 B. C. A Handbook of Political History, (Berlin: Akademie Verlag, 1992) 128.

الملك الحثي على نقميبا (Niqmipa) ملك أوجاريت (1250-1312ق.م)،[18] كما لا يرد ذكر لعلاقات لأوجاريت مع حلب، بل مع كركميش الأبعد منها.[19]

استمر حكمه حتى بدايات القرن الثالث عشر ق.م، بعد موت أبيه؛ بدليل أنه عقد معاهدة مع الملك التالي مواتللي (Muwatelli).[20]

ج. موكيش (Mukiš)

امتدت في مناطق وادي العمق وعفرين، وعُرفت قبل ذلك بمملكة ألالاخ، نسبة إلى عاصمتها ألالاخ (تل عطشانة، على العاصي، شمال شرقي أنطاكيا). كانت خاضعة للنفوذ الميتاني خلال القرن الخامس عشر ق.م، فهاجمها الحثيون ودمّروا العاصمة ألالاخ، ونهبوها، واحتلوا مناطقها الشمالية، ويُرجح أن مركز الحكم انتقل بعد ذلك إلى موكيش التي يفترض وقوعها في الجنوب أو الشرق.[21]

أخبار البلاد خلال القرن الرابع عشر ق.م قليلة، وردت في وثائق حثية معدودة،[22] ولم يتم اكتشاف وثائق في مناطقها نفسها بعد. ولعل أهم أخبارها هو تحالفها مع نُخَشّي ونيا (Niya) لمحاربة أوجاريت والحثيين، بدعم ميتاني.[23]

3. الكيانات الوسطى

تشمل خمس ممالك لعبت الدور الأبرز في الصراع الدولي على سوريا بسبب موقعها الجغرافي المتوسط بين الممالك الكبرى، هي:

أ. نُخَشّي (Nuḫašši)

كانت أوسع الكيانات السورية القائمة في غربي الفرات مساحة. نشأت في المناطق السهلية والبادية بين أطراف مدينتي حلب وحماة وغربي وادي الفرات وشرقي وادي العاصي، وبذلك جاورت مدنًا وممالك عدة، هي: إيمار، حلب، قطنا، تونيب (Tunip)، نيا. وامتد وجودها بين حوالى 1450-1310 ق.م، ولم تُعرف أو تُكتشف عاصمتها بعد.[24]

---

(18) جهان عزت محمد، النصوص الأكّدية للمعاهدات الحثية-السورية "ترجمة ودراسة"، (دمشق: دار آرام، 2019) 139.

(19) Horst Klengel, Syria 3000 to 300 B. C., 129.

(20) جهان عزت محمد، النصوص الأكّدية للمعاهدات الحثية-السورية، 179.

(21) E. M. von Dassow, "Archives of Alalah IV in Archaeological Context", Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 338, 2005, 53.

(22) Giuseppe F. del Monte, Johann Tischler, Die Orts- und Gewässernamen der hethitischen Texte, RGTC 6, (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 1978), 275; Giuseppe F. del Monte, Johann Tischler, Die Orts- und Gewässernamen der hethitischen Texte, Supplement, RGTC 6/2, (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 1992), 106.

(23) Amon Altman, "EA 59: 27-29 and the Efforts of Mukiš, Nuḫašše and Niya to establish a common Front against Šuppiluliuma I", Ugarit Forschungen, 33, (Münster: Ugarit-Verlag, 2002) 1-25.

(24) تعتمد معظم المعلومات المتعلقة بمملكة نُخَشّي على: فاروق إسماعيل، "مملكة نُخَشّي في المصادر الأكّدية والمصرية القديمة"، مجلة دراسات تاريخية،

مع بدء مرحلة التحالف المصري-الميتاني في مطلع القرن الرابع عشر ق.م، وتنظيم الحدود بينهما، ظلت نُخَشّي في الجانب الميتاني حتى نحو 1350 ق.م، واستقرت الأوضاع فيها، وشاع جوّ من السلام والازدهار. ويبدو أن زعماءها القبليين برعوا في الاستفادة من الطرفين المتنازعين (الميتاني والحثي)، فقد طالبوا الملك الميتاني بحق السيادة في مدن ومناطق حدودية مع حلب، فاستجاب لطلبهم، ثم فعلوا الأمر نفسه مع الملك الحثي ختوشيلي الثاني (Ḫattušili II).[25]

وعندما بدأت حملات الحثي شوبيلوليوما الأول صارت أراضيها معبرًا لجيوشه، أو مقرًا لها أحيانًا، فقد عبرتها خلال الحرب الحثية الأولى (1343 ق.م) التي وصلت حتى بلاد عمقي (Amqi) (وادي البقاع في لبنان)، واضطر ملكها شَرّوبشي (Šarrupši) إلى الترحيب بها، ما دفع الملك الميتاني تشرتا إلى الانتقام منه، فأسرع شروبشي في إرسال رسول لطلب المساعدة من القوات الحثية المرابطة عند ضفاف الفرات، فاندفعت لحماية نُخَشّي وإبعاد الجيش الميتاني. ولكن الولاء لميتاني لم ينته مباشرة، وذلك لكثرة الزعامات القبلية في البلاد، فقد برزت في البلاد قبائل لم ترض بتغلغل الجيش الحثي بعد ذلك في الأراضي الميتانية، وعبّرت عن استيائها، فسار إليها الجيش الحثي وأخضعها، وهرب الملك شروبشي.

في هذه الأثناء؛ كتب أَدّو نيراري (Addu-nirari) أحد زعماء القبائل الكبار رسالة إلى أمنحتب الرابع/أخناتون ملك مصر، وأكّد ولاءه له، ودعاه إلى التعاون في دعم ميتاني ضد الخطر الحثي، ولكن الرسالة لم تلق صدى، كعشرات الرسائل التي أرسلها غيره من الحكام إلى أمنحتب الرابع/أخناتون؛ كما يتضح من رسائل أرشيف العمارنة. ولذلك وجد أَدّو نيراري نفسه مضطرًا إلى التعاون مع الحثيين الذين عيّنوه ملكًا جديدًا على البلاد، وانتشرت جيوشهم فيها.

ارتبط التحول الأكبر في الأوضاع بسياسة عزيرو (Aziru) ملك بلاد أمورو (Amurru) الساحلية، فقد احتل مناطق في مملكتي نيا وتونيب المجاورتين لبلاده من الشرق، وبات على مقربة من نُخَشّي، وراح يفاوض الحثيين، ويرسل في الوقت ذاته رسائل ولاء إلى مصر، ويطلب الدعم لمواجهة الحثيين.[26] وعندما لم يلق تجاوبًا مصريًا عقد معاهدة مع الحثيين،[27] والتزم بالتعاون العسكري معهم، وبات الزعيم السوري الأساسي الذي يعتمدون عليه في ضبط الأوضاع الداخلية. لكن ذلك لم يمنع أَدّو نيراري من تشكيل تحالف ضد الحثيين بدعم ميتاني ضم مملكتي موكيش ونيا، وحاول استمالة أوجاريت أيضًا، ولكن ملكها لم يستجب، فهاجمته قوات التحالف، لكن الجيش الحثي صدّها، ثم احتل نُخَشّي، وفرض حاكمًا مواليًا عليها هو تِكيب ِشرّي (Tikip-šarri) (حوالى 1337 ق.م).[28]

في 1324 ق.م حصل تمرد في نُخَشّي على الاحتلال الحثي، ولم يستطع حاكمها تهدئة الوضع، فتدخل الملك

.86-29 ،2011 ،116-115

(25) ورد ذلك في معاهدة تَلْمي شرّوما حاكم حلب مع الملك الحثي مواتللي، راجع: جهان عزت محمد، النصوص الأكّدية للمعاهدات الحثية-السورية، 179-191.

(26) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 165.

(27) فاروق إسماعيل، "معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (نحو 1380-1340 ق.م) مع الممالك السورية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، ع: 11، (2008)، ص8.

(28) Amon Altman, “EA 59: 27-29 and the Efforts of Mukiš, Nuḫašše and Niya.

الحثي، وقمع التمرد، واستبدل به حاكمًا جديدًا يدعى تيتّي (Tette)، وفرض عليه معاهدة تبعية.[29]

في السنة اللاحقة مات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول، واستمر تيتي يحكم في ظل الاحتلال الحثي خلال عهد خليفه أَرنو وَنْدا الثاني (1321-1322) (Arnuwanda II ق.م) والعقد الأول من عهد مورشيلي الثاني، ويتبع شَرّي كوشوخ (Šarri-Kušuḫ) نائب الملك، المستقر في كركميش.

تمرد سكان بلاد نُخَشّي مرة أخرى في 1314 ق.م،[30] فانتهج شري كوشوخ سياسة جديدة في مواجهتهم، حيث عرض التحالف العسكري على ملك أوجاريت، وراح يحضّه على مواجهة ملك نُخَشّي، كما يرد في وثيقة مكتشفة في أوجاريت.[31]

بعيد موت شَرّي كوشوخ؛ ظهر تمرد جديد في نُخَشّي،[32] لكن مورشيلي الثاني لم يرغب في حرب جديدة، لانهماكه بمشكلات داخلية، فقرر الاستعانة بأفراد من أسرة تيتي طالبًا إزاحته عن الحكم لتعود الأوضاع، كما كانت. يتعاصر هذا الحدث مع السنة 12/11 من حكم حور محب في مصر (1323-1295 ق.م)، وقد كان قد بدأ باستعادة الاهتمام المصري العسكري بالممالك السورية. ويطرح كلنجل Klengel إمكانية الدعم المصري لتمرد تيتي على الاحتلال الحثي، ولا سيما أن وثائق حثية تذكر تيتي ومصر في سياق واحد.[33] ويبدو أن أسرة تيتي أدركت خطر الموقف، فثار عليه أحد أخوته وأزاحه، وأخضع نفسه للسيادة الحثية تمامًا.[34]

ب. نيا (Niya)

مملكة صغيرة المساحة في منطقة سهل الغاب الوسطى، يرجح أن مركزها كان في قلعة المضيق، ولكن وجود القلعة يمنع التنقيب في الطبقات السفلية الأقدم للتحقق. اشتُهرت بكثرة الفيلة فيها، ولذلك سار إليها ملوك مصر خلال حملاتهم؛ ولا سيما تحتمس الثالث، لصيد الفيلة قرب بحيرة هناك.[35]

إن المصادر التاريخية المتعلقة بها قليلة، يُستفاد منها أنها كانت موالية لمصر،[36] وامتلكت أفضل العلاقات مع الممالك المجاورة لها؛ فقد عُدّت أحيانًا جزءًا من مملكة نُخَشّي المجاورة شرقًا،[37] وبدت متحدة مع مملكة تونيب في الجنوب، إذ يبدو أن ملكها أكي تِشّوب (Aki-Teššub) الذي انضم إلى التحالف الذي قادته نُخَشّي ضد الحثيين وأوجاريت، بدعم ميتاني، حكم تونيب أيضًا؛ كما يتضح من رسالة مرسلة إلى أمنحتب الرابع.[38] وقد تميزت

(29) فاروق إسماعيل، "معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول"، 12.

(30) A. Goetze, Die Annalen des Mursilis, 82.

(PRU IV 54. (RS 17-334 (31)

(32) KBo III 3

(33) Horst Klengel, Syria 3000 to 300 B. C., 155.

(34) KUB XVI 41

(35) Donald B. Redford, The Wars in Syria and Palestine of Thutmosis III. (Leiden and Boston: 2003) 225; Peter Pfälzner, "The Elephants of the Orontes"; Syria, Supplement IV, (Paris, Presses de l'Ifpo, 2016) 159.

(36) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 53.

(37) Horst Klengel, Syria 3000 to 300 B. C., 152 (370).

(38) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 59.

بعلاقاتها المتينة مع مملكة قطنا في الجنوب أيضًا.[39]

ج. تونيب (Tunip)

نشأت هذه المملكة في الجزء الجنوبي من سهل الغاب، ويرجح أن عاصمتها تونيب Tunip كانت في العشارنة (ناحية سلحب، شمال غربي حماة)، وقد سبق أن عرضنا لمحات عن وضعها، ومن اللافت للانتباه رسالة مرسلة على لسان سكان مدينة تونيب إلى أمنحتب الرابع، يؤكدون فيها ولاء المدينة لمصر منذ القديم، ثم يطلبون العون، وإرسال ابن أكي تِشّوب (ملك نيا) الموجود في مصر ليتولى قيادة البلاد في مواجهة خطر الحثيين وحلفائهم؛ ولا سيما عزيرو ملك أمورّو الذي تحول إلى الجانب الحثي، وراح يتمادى في احتلال المناطق الواقعة شرقي مملكته.[40] ويبدو أن عزيرو احتلها، ربما لمدة قصيرة.[41]

د. قطنا (Qaṭna)

كانت تتمتع بموقع جغرافي مهم للتجارة بين بلاد الرافدين والبحر الأبيض المتوسط، وبلاد الأناضول وفلسطين، ولذلك كانت مركز مملكة مهمة منذ العصر البابلي القديم. وقد اكتشفت في تل المشرفة، الواقع على بعد حوالى 17 كم شمال شرقي حمص.

شهد القصر الملكي الضخم المكتشف فيها حركة سياسية وتجارية نشطة منذ القرن الثامن عشر ق.م، وكشفت التنقيبات الأثرية عن قصور أخرى صغيرة ومنازل خاصة وكثير من القطع الفنية والوثائق الكتابية التي تدل على أنها كانت حاضرة مزدهرة خلال العصر البرونزي المتأخر.[42]

خضعت في القرنين 16-15 ق.م للنفوذ الميتاني، ثم ارتبطت في أواسط القرن الرابع عشر ق.م بمملكة نُخَشّي المجاورة، وكان ملكها أكيزّي (Akizzi) حليفًا لمصر. وعندما تحول موقف عزيرو ملك أمورو إلى جانب الحثيين لم يبق هناك حليف قوي لمصر في سوريا غيره، وكان يتابع الوضع الجديد، ولا يستطيع فعل شيء، فقد سيطر عزيرو على منطقة واسعة (بين وادي العاصي الأوسط والبحر المتوسط)، بينما سيطر الحليف الحثي الآخر ملك قادش – ومعه حلفاء صغار – على مناطق جنوبي قطنا، حتى دمشق وسهل البقاع. وبذلك أضحى أكيزي محاصرًا، وواجهت قطنا أول حملة حثية مشتركة مع قوات عزيرو.

أرسل أكيزّي خمس رسائل إلى أمنحتب الرابع/أخناتون في السنوات الثلاث الأخيرات من عهده،[43] يؤكد له الولاء، ويخبره بأن إيتكمّا (Itakamma) ملك قادش حاول كسبه ليتحالف مع الحثيين مثله، ولكنه رفض، ولذلك شنّ الحرب عليه، ويدعو الملك المصري إلى أن يرسل بسرعة قوات لاحتلال مناطق نُخَشّي جميعها، وتأديب عزيرو ملك أمورّو الذي تحول إلى الجانب الحثي. ويعلمه بأن مدينته قَطْنا تعرضت لغزو حثي وهجوم قوات

(39) Thomas Richter, „Das Archiv des Idanda“, 179.

(40) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 59.

(41) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 161.

(42) Peter Pfälzner, Levantine Kingdoms of the Late Bronze Age, 778.

(43) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسائل 52-56.

عزيرو، وأحرقت، ونهبت، واعتقل رجال منها وأبعدوا، ويطلب الدعم. ولكنه لم يلق تجاوبًا مصريًا، ولم يستطع الصمود طويلًا في مواجهة القوات الحثية وحليفها (أمورو، قادش)، فانهار حكمه، وخضعت بلاده للاحتلال الحثي التام في نحو 1340 ق.م. وتراجع النفوذ المصري إلى جنوبي قادش.[44]

د. كنزا/قادش (Kinza/Qadiš)

ذُكرت في المصادر الكتابية بالاسمين، ويعتقد أن الأول كان اسم البلاد، والثاني اسم عاصمتها، وهي حاليًا تل النبي مَنْد، قرب القصير، جنوب غربي حمص.

كانت بلاد كنزا (قادش) حليفة لمملكة ميتاني، استاءت من الحملات المصرية المتجهة عبر أراضيها نحو وادي الفرات خلال القرن الخامس عشر ق.م، فتزعمت تحالف عدد من الكيانات السورية-الفلسطينية لمواجهتها في معركة مِجِدّو(Megiddu) (تل المتسلّم، شمال شرقي أم الفحم في شمالي فلسطين) في 1457 ق.م، بغية التخلص من الحكم المصري، ولكنها أخفقت في ذلك، وصارت بعد ذلك حليفة قوية لمصر.

خلال القرن الرابع عشر ق.م؛ حكمها شوتَتَرّا (Šutatarra) الذي واجه الحملات الحثية في عهد شوبيلوليوما بضراوة، فقام الجيش الحثي بمحاصرة قادش واحتلها، وأجلى الملك وابنه وأخواته وأفراد قواته الخاصة (ماريانو Mariyannu) إلى العاصمة الحثية.[45] ثم سمح لهم، بعد زمن، بالعودة، واستلم إيتكمّا العرش من أبيه،[46] وظل حليفًا مخلصًا لمصر.[47] ولكنه عدل عن ذلك، إذ لم يلق التجاوب المأمول من الملك المصري أمنحب الرابع/ أخناتون، بل راح يقود تحالفًا ضد مصر والموالين لها في سوريا، ويوثق علاقاته مع الحثيين، ويوسع مناطق نفوذه.

مع ذلك؛ احتلها مورشيلي الثاني خلال سنة حكمه التاسعة (1310 ق.م)، وقتل أميرها نقمادو أباه إيتكّما، واستلم الحكم، وأعلن الخضوع التام للسيادة الحثية.[48]

وتجدر الإشارة إلى أن قادش شهدت في 1275 ق.م إحدى أهم المعارك في تاريخ الشرق القديم، وأنهكت طرفي القتال؛ المملكتين المصرية والحثية، وأعقبها نوع من الهدوء في المنطقة.

4. الكيانات الساحلية

تشمل ثلاث ممالك، اعتمدت على الحركة التجارية البحرية، وحركة العبور التجارية (ترانزيت) بين شرقي المتوسط ومصر وألاشيا (جزيرة قبرص)، وكانت غنية بمواردها الذاتية بحكم مناخها وطبيعتها الجبلية، واشتهرت بمصنوعاتها النسيجية والمعدنية، وهي:

(44) Horst Klengel, Syria 3000 to 300 B. C., 156.

(45) KBo I, 1.

(46) تريفور برايس، رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم، رفعت السيد علي (مترجمًا)، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2006) 233.

(47) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 189.

(48) Horst Klengel, Geschichte des hethitischen Reiches, (Leiden.Boston.Köln: Brill, 1999) 197.

أ. أوجاريت (Ugarit)

كانت مملكة أوجاريت (رأس شمرا، قرب اللاذقية) أبرز الممالك السورية الغنية بثرواتها وحركة التجارة البحرية في مينائها في مخادو (Miḫadu)، خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م، امتدت أراضيها في المنطقة الجبلية الواقعة بين جبل الأقرع (خازّي (Ḫazzi)/ صافون (aponṢ)) في الشمال حتى شمالي مدينة جبلة في الجنوب، وفي الشرق حتى وادي نهر العاصي (سهل الغاب وسهل بداما).

برزت أهميتها خلال عهد ملكها نِقْمادو الثاني (حوالى 1318-1353 ق.م) الذي أشار في نصوص له إلى أن أجداده كانوا حلفاء الحثيين، وعانى في مطلع عهده توسّع عزيرو ملك أمورو في الجزء الجنوبي من مملكته،[49] فأرضاه بكمية ضخمة من الفضة لقاء انسحابه منها، للمحافظة على مصالحه التجارية البحرية، وعدم إثارة حرب في بلاده.

أشرنا من قبل إلى التحالف الذي قاده ملك نُخَشّي ضد أوجاريت، فاستنجد نقمادو الثاني بالحثيين، فكتب شوبيلوليوما إليه يقترح عقد معاهدة تحالف، ويطلب منه ألا يخاف، وأن يكون واثقًا من نفسه، وقال له: ((... وبعد ذلك سترى ما سيفعل الملك العظيم بهم؛ (أعني) ملوك بلاد نُخَشّي، وملك بلاد موكيش)).[50]

لقد حدث الهجوم، واحتلوا مدنًا في قلب بلاد أوجاريت، وأسروا، وخرّبوا، فاستجاب شوبيلوليوما لطلبه، وأرسل جيشًا لطرد أعدائه من وسط بلاده. وتقديرًا لذلك منح نقمادو الملك هدايا ثمينة، وسار إلى مدينة ألالاخ للقائه، وقبل بعقد معاهدة ولاء وتبعية في 1337/1338 ق.م.[51]

في عهد الملك الحثي مورشيلي الثاني حصلت تمردات في نخشّي وقادش ضد الحثيين (1314 ق.م)، فطلب حاكم كركميش من نقمادو التعاون في مواجهتها، ولكنه لم يستجب، واتخذ موقفًا محايدًا،[52] ولذلك عقد مورشيلي معاهدة ولاء وتبعية معه من جديد.[53]

خلّفه على العرش ابنه أَرِخَلْبا (Ari-Ḫalpa) لمدة بضع سنوات، ثم ابنه الآخر نِقْميبا الذي حكم مدة طويلة (1312-1250 ق.م). ألزمه مورشيلي بعقد معاهدة في مطلع عهده، وفرض عليه إعلان الولاء والظهور المنتظم في البلاط الملكي الحثي، ومشاركة الحثيين في قمع التمردات والحروب.[54] ثم تقلصت حدود أوجاريت الجنوبية في إثر إعلان عبدي عناتي (Abdi-Anati) حاكم سيانو استقلاله عنها، وتبعيته المباشرة لنائب الملك الحثي في كركميش، وحصل نزاع حول الحدود بين أوجاريت وموكيش، فتدخل الملك الحثي، وثبّت الحدود لمصلحة أوجاريت.[55] وظلت أوجاريت مرتبطة بالحثيين حتى معركة قادش؛ حيث شاركت قوات منها إلى جانب الحثيين.

---

(49) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 98.

(50) PRU IV 36

(51) فاروق إسماعيل، معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول، 5.

(52) Horst Klengel, Geschichte des hethitischen Reiches, 134, 196.

(53) جهان عزت محمد، النصوص الأكّدية للمعاهدات الحثية-السورية، 139.

(54) Horst Klengel, Syria 3000 to 300 B. C., 135.

(55) Horst Klengel, Syria 3000 to 300 B. C., 136.

ب. سيّانو (Siyanu)

كانت سيّانو إمارة صغيرة قائمة في مناطق جبلة الحالية، بين مملكتي أوجاريت وأمورو، ويرجح أن مركزها كان في تل سيّانو قرب جبلة. خضعت لحكم أوجاريت، ثم استقلت عنها في أواخر القرن الرابع عشر ق.م، وخضعت للحثيين؛ كما أشرنا في الفقرة السابقة.

ج. أمورو (Amurru)

كانت مملكة أمورو تمتد في الساحل جنوبي سيّانو حتى مملكة قادش وسهل عكّار (في لبنان)، وشرقًا حتى أواسط مجرى نهر العاصي. شكلت منذ النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م مركزًا أساسًا للإدارة المصرية في الشمال، ويقيم في عاصمتها صُمُر (Ṣumur) (ربما تل الكزل، على نهر الأبرش، قرب صافيتا) مندوب ملكي مصري، وتتمركز فيها حامية عسكرية مصرية.[56] ولكن علاقاتها مع مصر ساءت في آخر عهد ملكها عبدي أشرتا (Abdi-Aširta)، فقضى المصريون عليه (حوالى 1345 ق.م)، وعينوا ابنه عزيرو الذي انقلب على مصر أيضًا، بعد مدة قصيرة، وغدا حليفًا أساسًا للحثيين. وقد أشرنا من قبل إلى دوره في تغيير أوضاع عدد من الممالك السورية الأخرى.

انهمكت في صراع طويل الأمد مع مملكة جُبْلا (Gubla) (جبيل، 40 كم شمالي بيروت)، وقد وصفت مراسلات العمارنة مجريات ذلك في رسائل كثيرة مرسلة إلى الملك المصري أمنحتب الرابع من ملكيها عبدي أشرتا وعزيرو (1314-1345 ق.م)، ومن رِب هدّا (Rib-Hadda) ملك جبلا، ويركز الأخير على تبيان النفاق والازدواجية في موقف عزيرو من البلاطين المصري والحثي، ومحاصرته بلادَه، من خلال تحالفه مع عدد من المدن الساحلية المهمة جنوبي جبلا، مثل: بيروتا (Beruta)، صيدونا(Ṣiduna)، صوري (Ṣurri)،[57] وتوسعه عسكريًا حتى مناطق قريبة من مدينته في الشمال، مثل بطرونا (Biṭruna) (البترون، 17 كم شمالي جبيل).[58] ولكنه لم يلق تجاوبًا، ولا دعمًا مصريًا في صراعه معه. وقد اتضح صواب موقفه بعد ذلك؛ إذ أعلن عزيرو ولاءه للحثيين، وعقد معاهدة تبعية مع ملكهم شوبيلوليوما الأول في 1336 ق.م.[59]

حكم بعده لمدة قصيرة ابنه أري تِشّوب (Ari-Teššub)، وكانت علاقاته حسنة مع أوجاريت، وتزوجت ابنته أخت ملكي (Aḫat-Milki) أميرًا أوجاريتيًا (نِقميبا). ثم حكم ابنه دوبّي تِشّوب (Duppi-Teššub) خلال سنة حكم مورشيلي الثاني التاسعة (1310 ق.م)، وفرض عليه معاهدة تبعية في مطلع عهده.[60]

يتضح من المصادر الحثية أن ابنه بنتِشينا (Bintešina) خلّفه على الحكم، وكانت قواته مشاركة في معركة قادش (1275 ق.م) إلى جانب الحثيين.

---

(56) Peter Pfälzner, Levantine Kingdoms of the Late Bronze Age, 777.

(57) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 114.

(58) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسالة 88.

(59) فاروق إسماعيل، "معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول، 8.

(60) جهان عزت محمد، النصوص الأكّدية للمعاهدات الحثية-السورية، 172.

5. دمشق (Dimašqi) في الجنوب

لم تُذكر دمشق في المصادر الكتابية القديمة قبل القرن الرابع عشر ق.م، وكانت المنطقة المحيطة بها تُعرف بتسمية بلاد أب (Upu, Apu) وتمتد بين الأطراف الشمالية لجبال لبنان الشرقية وجنوبي جبل العرب، وأطراف سهل البقاع (عمقي) وأطراف بادية الشام.

برز اسم ملكها بيرياوازا (Biriwazza) في مراسلات العمارنة، حيث أرسل أربع رسائل إلى الملك المصري أمنحتب الرابع/أخناتون، يتضح فيها أنه كان ذا منزلة متميزة لدى البلاط المصري.[61] أدار شؤون بلاده بجدارة في مطلع عهده، ثم مرّ بأزمنة حرجة تعكس ضعفه، وتدل على افتقاره إلى جيش منظم وحامية مصرية مرابطة لديه، ولذلك عانى تدخلات حلفاء الحثيين (أمورو، قادش) وحملاتهم، وعاداه حكام مدن في الجنوب وفي سهل البقاع.

وثمة شخص آخر يوصف في نص مكتشف في كومد (Kumidi) (كامد اللوز، شرقي بلدة جب جنين في منطقة البقاع اللبنانية) بـ(زعيم مدينة دمشق) هو زَلايا (Zalaya) الذي ربما سبق بيرياوازا في الحكم، أو تلاه، أو إنه كان يحكم المناطق الغربية من البلاد، ويستقر في كومد التي كانت مركز ولاية خلال الحكم المصري، إلى جانب ولايتي أمورو (في الشمال) وخزّة (Ḫazzatu) (غزّة في الجنوب).[62]

عانت دمشق وواحتها حملات الحثيين وأعوانهم، فقد بلغتها جيوش شوبيلوليوما الأول، وسار إليها إيتكما ملك قادش، ودفع سكانها إلى التمرد على المصريين، ونهب قصرها الملكي، واستولى على كثير من أراضي زعيمها بيرياوازا، وعاونه في ذلك حاكما مدينتي لابان (Labani) ورخيزي (Ruḫizzi) (في محيط بعلبك)، ووصلها عزيرو ملك أمورو. وتأثرت بمعاداة مدينة اشترت (Aštarti) في حوران، وأطماع بعض حكم مدن بلاد عمقي (سهل البقاع).[63]

خامسًا: خاتمة واستنتاجات

يتضح مما سبق أن تفتت جغرافية سوريا إلى كيانات سياسية وربما قبلية عدة كان يعود إلى عاملين؛ خارجي وداخلي، هما:

1. أطماع القوى الخارجية الكبرى في احتلال سوريا، ولذلك كانت تعمل على دعم الممالك القائمة فيها، وإثارة الصراعات بينها؛ تبعًا لغاياتها ومصالحها. فالحثيون في بلاد الأناضول كان يهمهم أول الأمر القضاء على مملكة ميتاني في الجزيرة السورية، والسيطرة على مناطق الشمال؛ ولا سيما حلب. ومع انتقال حكمهم إلى شوبيلوليوما الأول؛ الملك ذي النزعة العسكرية الطامعة في مزيد من السيطرة، ازدادت لديهم نزعة التوسع في مناطق سوريا الداخلية، والوصول حتى سهل البقاع، بغية إنهاء النفوذ المصري، وفرض وجودهم.

(61) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، الرسائل 194-197.

(62) فاروق إسماعيل، مراسلات العمارنة، 56.

(63) فاروق إسماعيل، "أخبار دمشق وبلاد أُب في مراسلات العمارنة"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج: 45/46 (2002-2003) 67-81.

أما المصريون فقد تفاهموا مع ملوك مملكة ميتاني الحورية في الجزيرة السورية، وتقاسموا مناطق النفوذ، وكان همّ الطرفين صدّ محاولات الحثيين، ومنعهم من التغلغل في سوريا، وقد وُفّقوا في ذلك حتى أواسط القرن الرابع عشر ق.م، ولكن موقف مصر تغير كليًا في النصف الثاني من القرن، في عهد الملك أمنحتب الرابع/أخناتون الذي انصرف إلى العقيدة الدينية الجديدة (الآتونية)، وأهمل الشؤون السورية، ولم يهتم بالمحافظة على النفوذ المصري هناك. وقد استغل الملك الحثي شوبيلوليوما الأول ذلك، واستفاد منه، وفرض نفسه قوة عظمى في المنطقة.

وكانت بلاد بابل خاضعة آنذاك لحكم الكاشيين القادمين من مناطق جبال سلسلة زغروس الوسطى، في غربي إيران، وكان حكامها منهمكين بتنظيم شؤون البلاد الداخلية، وغير راغبين في التوسع والتحالف العسكري، ومع ذلك كانت لبابل، وكذلك آشور، علاقات طيبة مع مصر؛ مثل ما يتضح في رسائل من تل العمارنة، ولم يتدخل حكام المنطقتين كلتيهما في الشؤون السورية.

2. إن وجود ثلاثة عشر كيانًا سياسيًا ضمن جغرافية سوريا الحالية آنذاك يعكس بوضوح مدى الانقسام الداخلي، وتعدد الزعامات، والاستقواء بالقوى الخارجية للمحافظة على السلطة ضمن أطر جغرافية صغيرة المساحة. ولم تتجاوز النزعات الوحدوية نطاق تشكيل تحالف ثلاث ممالك؛ كما هي الحال في تحالف نُخَشّي وتونيب ونيا، ولم يكن ذلك لصد الأطماع الخارجية؛ بل بهدف محاربة مملكة أوجاريت السورية التي كانت مزدهرة اقتصاديًا، وترضي الحثيين بالوسائل المتاحة لها للمحافظة على ثرائها؛ كما ينعكس في المعاهدة التي فرضها الحثيون على أوجاريت.[64]

ولم يتغير الوضع بعد ذلك؛ على الرغم من توافر فرص لتحقيق شكل من الاتحاد ضمن إطار سياسي واسع قوي يحدّ من أطماع القوى الخارجية، وظل كذلك حتى اصطدام القوتين الحثية والمصرية في معركة قادش 1275 ق.م التي أنهكت الطرفين وحلفاءهما السوريين جميعًا.

لقد كانت الممالك السورية في النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م موزعة الولاء بين مصر وميتاني، ولكنها باتت في النصف الثاني منه وحيدة إزاء الجيش الحثي الضخم. ومرت زمن صارعت خلاله من أجل عدم الاستسلام له، ولكنها اضطرت، واحدةً تلو الأخرى، إلى الإذعان للسيادة الحثية، والقبول بمعاهدات جائرة يفرضها الملوك الحثيون. وكانت تتخلل ذلك تمردات وثورات لا تحقق نتائج مهمة، إذ تُقمع، ويختفي أثرها.

3. كان الميتانيون يتميزون بالعنف والخبرات العسكرية، ولذلك نجحوا في استمرار فرض سيطرة مملكتهم على منطقة الجزيرة السورية مدى زمنيًا طويلًا، بل اتسعت مناطق نفوذهم غربًا حتى مناطق شمالي حمص، ونحو البحر الأبيض المتوسط أحيانًا.

لقد كان وضع مملكتهم مختلفًا تمامًا عن الممالك الأخرى، وكان صراعها الأساس مع الحثيين، وقد صمدت في وجه الأطماع التوسعية الحثية زمنًا طويلًا، ولكنها ضعفت؛ عندما تمكّن الحثيون من تشكيل تيار موال لهم ضمن القصر الملكي الميتاني، ما أدى إلى انقسامهم، وانهيار مملكتهم، وخضوع أراضيها للسيطرة الحثية في الغرب،

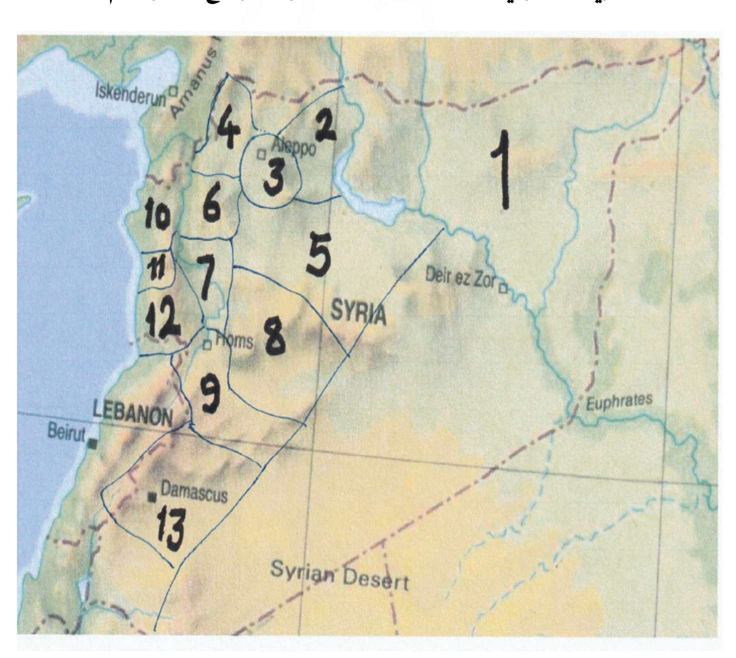
(64) فاروق إسماعيل، "معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول"، 12.

والآشورية في الشرق.

4. كانت مناطق النفوذ المصري شبه الثابتة تمتد حتى شمالي قادش (حوالي حمص)، وكانت المنطقة الساحلية الجنوبية (أمورو) متقلبة في مواقفها، بينما ترضي الشمالية (أوجاريت) مصر والحثيين معًا. ولم تكن الممالك الأخرى في شمالي البلاد وشرقيه ووسطه تريد السيادة الحثية على أراضيها، ولكنها كانت تضطر إلى ذلك بين حين وآخر.

إن هذا الوضع القلق خلال أكثر من قرن، وتنازع المصالح، هو الذي أدى إلى بلوغ ذروة الصراع المصري – الحثي على سوريا في معركة قادش الشهيرة في التاريخ القديم (1275 ق.م). وهو من ناحية أخرى السبب في غياب ملامح نهضة عمرانية وتقدم فني في أرجاء البلاد جميعها، باستثناء أوجاريت وقطنا.

خريطة سوريا السياسية خلال القرن الرابع عشرق.م



1 - مملكة ميتّاني الحورية 2- أشتاتّا 3- حلب 4- موكيش 5- نُخَشّي 6- نيّا 7- تونيب 8- قَطْنا 9- قادش

10- أوجاريت 11- سيّانو 12- أمورّو 13- دمشق.

المصادروالمراجع

بالعربية

1. إسماعيل، فاروق، „أخبار دمشق وبلاد أُب في مراسلات العمارنة"، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 46/45 (دمشق: 2002-2003) 67-81.

2. إسماعيل، فاروق، „الحثيون وحملاتهم على سورية"، مجلة دراسات تاريخية، 81-82، (دمشق: 2003) 3– 35.

3. إسماعيل، فاروق، „معاهدات الملك الحثي شوبيلوليوما الأول (نحو 1380-1340 ق.م) مع الممالك السورية"، مجلة جامعة الملك سعود، مج 21، السياحة والآثار (1)، (الرياض: 2009) 1– 18.

4. إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة الدولية „وثائق مسمارية من القرن 14 ق. م"، (دمشق: دار إنانا، 2010).

5. إسماعيل، فاروق، „مملكة نُخَشّي في المصادر الأكّدية والمصرية القديمة"، مجلة دراسات تاريخية، 115-116، (دمشق: 2011)، 29-86.

6. برايس، تريفور، رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم. ترجمة رفعت السيد علي، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2006).

7. محمد، جهان عزت، النصوص الأكّدية للمعاهدات الحثية-السورية „ترجمة ودراسة" (دمشق: دار آرام، 2019).

8. مرعي، عيد، „إدريمي ملك ألالاخ"، مجلة دراسات تاريخية، 29-30 (دمشق: 1988) 103-126.

بلغة أجنبية

1. Altman, Amon, „EA 59: 27-29 and the Efforts of Mukiš, Nuḫašše and Niya to establish a common Front against Šuppiluliuma I", Ugarit Forschungen, 33, (Münster: Ugarit-Verlag, 2002) 1-25.

2. Arnaud, Daniel, Recherches au pays d'Aštata, Emar VI, tomes 14-, (Paris: Editions Recherches sur les Civilisations, 19851987-).

3. Breasted, James Henrey, Ancient Records of Egypt. Historical Documents, Vol. II, (Chicago:

The University Chicago Press, 1906).

4. del Monte, Giuseppe F. -Johann Tischler, Die Orts- und Gewässernamen der hethitischen Texte, RGTC 6, (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 1978).

5. del Monte, Giuseppe F.-Johann Tischler, Die Orts- und Gewässernamen der hethitischen Texte, Supplement, RGTC 6/2, (Wiesbaden:

6. Goetze, A. Die Annalen des Mursilis. Hethtische Texte, Heft 6, 2. Edition, (Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1967).

7. KBo = Keilschrifttexte aus Boghazköi, (Leipzig: J. C. Hinrichs'sche Buchandlung).

8. Klengel, Horst, Syria 3000 to 300 B. C. A Handbook of Political History, (Berlin: Akademie Verlag, 1992).

9. Klengel, Horst, Geschichte des hethitischen Reiches, (Leiden. Boston. Köln: Brill, 1999).

10. Klengel, Horst, "Qatna – ein historischer Überblick", (Berlin: Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, 132, 2000), 239 – 252.

11. KUB = Keilschrifturkunden aus Boghazköi, (Berlin, Staatlichen Museen).

12. . Marchetti, N, (Ed.) Karkamish. An Ancient Capital on the Euphrates, (Bologna: 2014).

13. Margeron J.-M., "Aux marches de l'empire Hittite: une campaigne de fouille à Tel Faq'ous (Syrie), citadelle du pays d'Aštata. in: M.Yon (Ed.) La Syrie au Bronze Récent, (Paris: 1982) 4766-.

14. Pfälzner, Peter, "The Elephants of the Orontes"; Syria, Supplement IV, (Paris, Presses de l'Ifpo, 2016).

15. Pfälzner, Peter, Levantine Kingdoms of the Late Bronze Age, In: Daniel T. Potts, (Ed.) Companion to the Archaeology of the Ancient Near East, (Oxford: 2012) 770796-.

16. PRU = Le palais royal d'Ugarit, (Paris: Mission de Ras Shamra).

17. Redford, Donald B., The Wars in Syria and Palestine of Thutmosis III. (Leiden and Boston: 2003).

18. Richter, Thomas, „Das Archiv des Idanda", (Berlin: Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft, 135, 2003) 167188-.

19. Richter, Thomas - Sarah Lange, Das Archiv des Idadda, (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2014).

20. . von Dassow, E. M., "Archives of Alalah IV in Archaeological Context", Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 338, 2005, 1–69.